

Reflections of Political Rejection in the Poetry of Jordanian Poet Ayman Al-Otoun

تجليات الرفض السياسي في شعر الشاعر الأردني أيمن العتوم

Jalila Sharifi¹, Rasoul Balavi^{1*}, Moslem Zamani¹.

¹Persian Gulf University, Bushehr, Iran.

ARTICLE INFO

Article history:

Received 26 Jul 2018

Accepted 24 Oct 2018

Published 01 Apr 2020

*Corresponding author:

Persian Gulf University, Bushehr, Iran.

Email: r.ballawy@gmail.com.

Abstract

Protest in literature means to confront and rebel against various issues. This manifests itself in literature, especially in poetry. Poets, through their protest poetry and various purposes, remind the reader of the deceptive elements that attract attention, enlighten society, and provide exceptional value to protest in their work. The Jordanian poet Ayman Al-Otoun is one of the poets who has addressed the issue of protest. One of the most noteworthy features of Al-Otoun's poetry is its protest aspect. In this research, we study the reflection of protest in Ayman Al-Otoun's poetry. This study helps us recognize the most important protest factors that Ayman has identified. It also aids in understanding the phenomenon and motivation of protest poetry in the Levant, which plays a significant role in the life of the Arab community. The methodology of this study is descriptive-analytical. The most important result of this study is that the phenomenon of protest in Ayman Al-Otoun's poetry is manifested in themes related to internal and external political issues.

Keywords: Contemporary Poetry, Political Protest, Jordan, Ayman Al-Otoun.

الملخص

الرفض في الأدب المواجهة والتحدّي حيال قضية من القضايا، فيظهر بالأدب وخاصة بالشعر، بأغراض متعدّدة حسب اهتمام الشاعر بالأمور التي تلفت انتباهه وهي مغايرة لما يراه صحيحاً فيهدف لنشر الوعي في مجتمعه بأشعار تتسم بالرفض وقد اعتنى الشعراء بهذه الظاهرة في نتاجاتهم ومن هؤلاء الشعراء الذين ركّزوا على الرفض، الكاتب والشاعر الأردني أيمن العتوم فأشعاره الحارقة والمبدعة تأخذ سمة الرفض وتمتاز بهذه الميزة. في هذا البحث سوف نتطرق إلى تجليات الرفض السياسي في شعر أيمن العتوم، فهذه الدراسة تفيدنا في معرفة ظواهر الرفض السياسي وتجلياتها في شعره ممّا تدعوه إلى أخذ موقف رافض تجاه الواقع المأساوي كما تساعدنا في معرفة ظواهر شعر الرفض السياسي في بلاد الشام لما تمثّله هذه البلاد من أهمية في حياة الأمة العربية وموقعها السياسي. اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي-التحليلي. وأهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث أنّ ظاهرة الرفض السياسي تتجلى عند العتوم بقضايا ترتبط بشؤون السياسة الخارجية والداخلية، فعُني بشعره الرفض بشتى القضايا حسب الأحداث السياسية التي مرّت بها الأمة.

الكلمات المفتاحية: الشعر المعاصر، الرفض، الرفض السياسي، الأردن، أيمن العتوم.

١,١ الإطار النظري والدراسات السابقة

سرد الحقائق في محاولة لإقامة العدل ومحاربة الطغيان تتصل بخلفية بعيدة المدى في التاريخ، ويمكن الاطلاع على هذه الخلفية التاريخية والأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال تتبع أخبار الانتفاضات والنهضات التي ثارت بسبب رفض الظلم واستقرار العدالة. الرفض لم يكن أمراً حديثاً، فبتعدد الدول وتعدد الحكومات، واختلاف الحضارات والثقافات، تقع أحداث جديدة تدفع الناس إلى الرفض والاحتجاج مهما كان الأمر سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً؛ ومن هؤلاء الناس الذين يهتمون بهذه الأمور فيرفضون الواقع المتأزم، هم الفنانون وخاصة الأدباء والشعراء، وأعمالهم الخالدة تكشف عن الأجواء السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية من خلال سطور أو أبيات أدبية جميلة، وكانت الأصوات الراضية عبر التاريخ الأدبي ومازالت أهم الأصوات التي حرّكت النصّ الشعري. أيمن العتوم شاعر وروائي أردني، يقوم برصد الحياة اليومية وفق منظوره الفكري ويتطّلع إلى القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية، ومن هنا فإن المنظومة الفكرية التي يتمتع بها الشاعر تؤهله إلى التحليل والتشخيص لمختلف القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية، والتصدي لها وللموقف الذي يستوجب الرفض وقول "لا".

إنّ السّمة الأساسيّة في شعره هي الرفض، فهو من خلال بيانه الشعري يحكي قصة المواطن ومعاناته وآلامه، فيكشف عن الواقع المتخلف البائس المحاط بالأحزاب والاستبداد والجوع والفحشاء؛ وقد توشّح الرفض في تجربته الشعرية بأحاسيس مؤلمة ومكابدات مُحزنة على شتّى الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية. والرفض إمّا أن يكون سياسياً فيتكلّم الراض عن السلبيّات التي يلاحظها في السياسة الحاكمة وإمّا أن يكون رفضاً اجتماعياً وهو يشير إلى القيم السلبيّة التي تسود مجتمع الشاعر وإمّا رفضاً فكرياً وهو يتحدّث عن السلبيّات المحيطة حول معتقدات الناس من الدين والمعتقدات وغيرها؛ وهناك رفضٌ ثقافي وآخر اقتصادي كثيراً ما يتداخلان مع الرفض الاجتماعي. إنّنا في هذا البحث سوف نعالج ظاهرة الرفض السياسي في شعر أيمن العتوم. وأبرز المضامين السياسية التي ركّز عليها الشاعر في شعره هي رفض سطوة إمريكا، رفض هيمنة اليهود، رفض اتفاقيات السلام، رفض تفرّق الأمة، رفض ترك الجهاد، رفض القوانين (قانون الصوت الواحد)، رفض تخاذل مجلس الأمة، رفض عمال الحكومة ورفض سيطرة الأمن الحكومي. إنّنا في هذا البحث سوف نعالج الأسئلة التي بصدد الإجابة عنها وهي:

١. ماهي أهم ظواهر الرفض السياسي في شعره؟

٢. كيف تتجلّى ظاهرة الرفض السياسي في شعر أيمن العتوم؟

١,١,١ الدراسات السابقة

أجريت هناك دراسات عديدة تشير إلى الرفض في الأعمال الأدبية، ونخصّ منها بالذكر: «انعكاسات الرفض في الشعر العربي المعاصر: الأعمال الشعريّة لمظفر النواب نموذجاً»، فهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراة للباحث مرتضى زارع بري، وقد ركّز فيها على دراسة الشعر السياسي للنواب مع التأكيد على عناوين أشعاره، وأيضاً «نزعة الرفض وأثرها في تشكيل الشعر العباسي أبو العتاهية وأبونوأس وأبو تمام أنموذجاً / دراسة أسلوبية» وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه للطالب محمد الصديق بغرورة، وقد عالج فيها نزعة الرفض وما تتركه من أثر ملحوظ على الشعر العباسي وبالتحديد على شعر الشعراء المشار إليهم في العنوان.

أمّا بالنسبة لأيمن العتوم، فهناك دراسة واحدة وهي «صورة الأقصى في شعر أيمن العتوم من خلال قصائده: (خذني إلى المسجد الأقصى) أنموذجاً»، لفيصل حسين غوادرة، والباحث في هذه الدراسة يقوم بالكشف عن صورة الأقصى عند الشاعر من خلال ثلاثة قصائد من ديوان «خذني إلى المسجد الأقصى» ويتحدث عن الظواهر الفنية والبديعة في هذه القصائد. ولكن بالنسبة إلى موضوع الرفض في شعره فلم نعرّ على دراسة تعالج هذا الجانب بالرغم من أهميته في شعره.

الرفض

الرفض في الأدب هو أن يتّخذ الأديب من شعره أو نصوصه سلاحاً رادعاً في النضال، لنقل موقفه تجاه الواقع السائد، وسط صراع في القيم حيث يكون هدفه الوعي ويفترض أن يدافع عن قضية معينة بشكل علنيّ وملتمز وأن التزامه ينطبق على

قضايا مجتمعه وبلاده أو يشمل القضايا الكبرى حول العالم. فالرفض «قوة تجابه عوامل الإخضاع الذات التي تقيسُ الذات على الحركة داخل مجال نمطيّ لاترغب في الدخول فيه، قوة تمنح الذات قدرتها على الاتزان بين مايفترضه وترغبُ في تحقيقه وما يُفرض عليها وتعجز عن تغييره. وق دكان الرفض هو تلك الطاقة في صيغتها المثلى؛ طاقةً تمتلك قيمتها من القدرة على التحقيق وضعية خاصة للذات ولو بالقوة، تلك القوة التي وإن لم تحمل فاعلية التغيير فإنها على الأقل تمتلك فعالية النطق والتعبير» (المصري، ٢٠٠٥).

فهذا النطق والتعبير يظهر في أعمال الكتّاب والأدباء بشكل مقال أو رواية أو شعر فيحمل دوافع وأهداف وأساليب خاصة، ويعبر عما يحمله الكاتب أو الفنان من فكر ومشاعر ورؤية تمثل مسألة إنسانية ذات أهمية يقصد نقلها إلى القارئ، والفنان لاسيما الشاعر يلتزم موقف رفضه متوسلاً بالقضايا الفنية الإيحائية، لكي يعبر بواسطتها عن موقفه ويثبت من خلالها رؤيته. لهذا، الشعر وسيلته في إيصال مايلج في داخله من معاناة الإنسان وآلامه في الحياة ومآله من سلبيات في المجتمع يحاول مجابته برفضه، كما أن «الرفض ليس عادة يمكن لأي إنسان أن يمارسها وكأنها نشاط حيائي أو اجتماعي، غاية عادة أو ظاهرة أخرى، ولا يمكن أن يكون الرفض حالة آنية تستقطب الإنسان في لحظة معينة مايلبث أن يتركها بعد حين.. بل أن الرفض هو حالة من الوعي الانساني الراقي الذي يصل بالإنسان إلى أعلى مراتب الرقي» (العكدي، ٢٠١٣).

الرفض السياسي

الأدب السياسي في اللغة العربية ليس أمراً جديداً فهو من قديم الأيام جاء بأشعار تسمى بأيام العرب وهي عبارة عن تاريخ الجزيرة العربية، من حروبها التي وقعت بين العرب قبل الإسلام بنظم أشعار وقصص خلدت بملاحم سياسية (أنظر: المولى بك وزملائه، ١٣٦١هـ) واستمر الشعر السياسي بعد الإسلام، فهناك شعراء نظموا أشعار عن الدولة الأموية والدولة العباسية والحكومات الأخرى وفي العصور الحديثة والمعاصرة، ظهر شعراء أرادوا أفقاً جديداً لمصالح الناس والمجتمع، فأخذ الشاعر المعاصر يحث الناس بكلامه لانتزاع الحقوق المغتصبة ويصور الأحوال السياسية والاجتماعية بأبيات شعرية منها حادة ومنها ساخرة.

والرفض السياسي في الأدب يشير إلى كل ما قيل من الشعر والنثر في مجال السياسة على صعيد الحكام ومن يرتبط بهم أو الأحداث السياسية التي حفلت بها الحكومة سواء كان أمراً داخلياً أو خارجياً، من حق يضيع في الداخل إلى علاقات سياسية تؤول إلى الإخفاق. فتمتاز أشعار أيمن العتوم بالبعد السياسي الذي جاء به بصورة الرفض، مما يتجلى فيها ظاهرة الرفض بجلاء ووضوح فنجد أنه يقصد أولاً الرفض السياسي في إطار الشؤون الخارجية وبالتالي مجتمعه ومايتعلق به من الأوضاع الداخلية التي تأثر على مصير الأحداث والأمة ونفس الشاعر فيعبر بكلماته عن رفضه لأمل تغيير الواقع السياسي. فمما يتعلّق بالرفض السياسي في إطار الشؤون الخارجية عند الشاعر:

الأوضاع السياسية الخارجية

سطوة أمريكا

كان ومازال الشرق الأوسط مستهدفاً للأطماع الاستعمارية و«الاستعمار في الشرق الأوسط له صور مختلفة، وإن كانت غايته واحدة وهي تفتيت الوحدة في كل شعب أو خلق نزاع أساسي بين الشعب وآخر... وأولى صور هذا الاستعمار تتمثل في رأس المال وسيطرته عن طريق إقامة الشركات، أو طريق التجارة، أو طريق القروض. فإذا استقر رأس المال الأجنبي في بلد من بلدان الشرق الأوسط صحت استقراره هذا نفوذ سياسي وتدخل في شؤون الحكم، ثم تبع هذا وذاك احتلال عسكري» (البهي، ١٣٨٠م: ١٤١)، وهذا ما فعلته أمريكا في شرق الأوسط عندما أثارت الخلاف والجدل بين الحدود العربية والإسلامية في أزمت الخليج وتدخلت في أمورها الداخلية والخارجية بحجة حل الخلاف بينهم حتى تمكنت أن تجعل الشرق الأوسط أهمّ عناوين الأحداث ولا توجد أمة عربية أو مسلمة إلا لها قضية سياسية، فلعبت دوراً رئيسياً ومخادعاً وكما يعبر عنه الشاعر دور ذئب في القطعان، والخوف من سطوتها أمر مرعب أخاف زعماء العرب حتى أنهم عظموها ويقول الشاعر ألهوها تأليهاً:

أَنْ يُصْبَحَ الذَّئْبُ فِي الْقُطْعَانِ رَاعِيَهَا

فَالْهُوْهَا عَلَى الْأَكْوَانِ تَأْلِيَهَا

عَآثَتْ بِنَا يَدَ آمَرِيكَ، وَمِنْ عَجَبٍ

وَحُوفَ الرُّعَمَاءِ الْيَوْمَ سَطَوَتْهَا

(العتوم، ٢٠١٣)

فقد اشتد دورها في المنطقة حتى خاضت حروب على الأمم العربية ومن أهمها حرب الخليج التي قادتها بقواتها على العراق وتلك الحروب أعقبت دماراً واسعاً ويتأسف الشاعر على ما جرى في هذا البلد العريق من الخراب ويصف رافضاً سيرة إمريكا في الحروب وهي سيرة رعاة البقر تحضروا، وهم الذين نزلوا بأرض إمريكا بعد كشفها وهي سيرة متوحشة بعيدة عن الثقافة.

الصَّوَارِيخُ الَّتِي خَطَّتْ بِمَا تَقْصِفُهُ سِيرَةُ (كَوْبُوي) تَخْضُ

(المصدر السابق)

فينشد متعاقباً أنَّ هذه الحرب لأجل الثأر من الإسلام، ويخاطب الرئيس الإمريكي «بوش» الذي خاض هذه الحرب، لاكتكم واجهر بأعلى صوتك بأن هذه الحروب هي استمرار للحروب الصليبية.

ويقول:

جِئْتُ يَا (بُوشُ) لِي تُنْقِذَهَا؟! أَمْ مِنْ الْإِسْلَامِ قَدْ جِئْتُ لِتَثَار؟!
حَرْبُكَ الشَّعْوَاءُ لَيْسَتْ بِجَدِيدٍ إِنَّهَا (حَرْبُ الصَّلِيبِيِّينَ) فَاجْهَرْ

(المصدر السابق)

فهكذا يحاول الشعر أن يرفض سياسات إمريكا في المنطقة ويكشف عن مقاصدها ونواياها من هذه الحروب في المنطقة.

هيمنة اليهود

اليهود إحدى الأديان السماوية وتختلف عن الصهيونية ولكن الشاعر استعمل في شعره مفردة اليهود بمعنى الصهيونية، و«هي حركة سياسية مغلقة بالدين، حيث اتخذت منه ستاراً لتحقيق أطماعها وأهدافها. واعتمدت في تحقيق أغراضها الاستعمارية والاستيطانية أسلوب الخداع والتسلل من أجل السيطرة على الأراضي العربية» (فهاد العكبر، ٢٠١٢-٢٠١٣م) وهذه الحركة السياسية تطورت وبالدعم والرعاية التي حصلت عليه من قبل الغرب وإمريكا فهيمنت على الأراضي العربية وأصبحت الأزمة الرئيسة في إقليم الشام ومصر، فقد خاض كثير من المثقفين برفضها والشعراء تصدوا إلى رفض مشروعيتها حكمهم ومدى البطش الذي قاموا به.

فبدأ الشاعر الحر أيمن العتوم ديوانه الشهير «خذني إلى المسجد الأقصى» بروح المقاومة ودعمه ومساندته للقدس بشعره، فأعلن رفضه قضية الصلح والتفاوض مع اليهود وأخذ يناشد المواطن المناضل قائلاً له عليك ألا تنخدع بالصلح، بل خالف هذا الصلح المزيّف فجابه المحتل حتى إذا رموك بالرصاص لأنّ القدس هي العاشقة التي تطلب التضحية والشهادة، ومن حين إلى آخر يتساقط الشهداء لأجلها ولا تدع للصهاينة المحتلين أثراً:

لَا تَبْرَحِ الْأَرْضَ وَاحِمَ الْقُدْسِ وَالتَّجَمِ وَانْقُشِ دِمَاكَ عَلَى بَوَابَةِ الْحَرَمِ
وَاقْبِضْ عَلَى الْجَمْرِ إِنَّ الْقَابِضِينَ عَلَى جَمْرِ الْبِلَادِ أَضَاؤُهَا عِزَّةُ الْأُمَمِ
وَحَلِّ خَلْقِكَ كُلِّ الرَّاكِنِينَ إِلَى صُلْحِ الْيَهُودِ وَإِنْ سَاغُوهُ فَانْهَمِ
وَجَابِهِ الْمَوْتُ غَارِي الصَّدْرِ مُشْرَعُهُ وَإِنْ أَتَاكَ رِصَاصُ الْغَدْرِ فَابْتَسِمِ
وَعَنْ لِلْقُدْسِ إِنَّ الْقُدْسَ عَاشِقَةٌ وَسَوْفَ تَطْرَبُ إِنْ بَالِغَتْ فِي النَّعَمِ

تَسَاقَطَتْ شُهَدَاءُ الْقُدْسِ كَالْحَمَمِ

وَكُلَّمَا طَرَبَتْ وَاهْتَرَّتْ جَانِبُهَا

وَاعْبُرْ حَوَاجِرَهَا بِالنَّارِ وَاحْتَدِمِ

خَلَقَ كَمَا الصَّبْرُ فِي أَرْجَائِهَا لَهَبًا

فَإِنَّهُمْ نَجَّسُوهَا بِأَيْغُو دِمَمِ

وَلَا تَدْعَ لِيَهُودِيٍّ بِهَا أَثَرًا

(العتوم، ٢٠١٣)

يخاطب الشاعر القارئ بصيغة الأمر ليوّجه له الكلام فالأمر هام للغاية ولجلالة هذا الأمر وأهميته نرى الشاعر يركّز على حشد الصيغ الأمرية الرافضة للاحتلال. ولا تنتهي القصيدة إلى هذا الحد فهي ديوان عن القدس ومحاربة اليهود ويعبر فيها الشاعر عن عدم التثام جرح البلاد مادام هناك يهوديًا يمشي بساحاتها وينجّسها، فلا شفاء للجروح، بل يراها تكبر في كل حين:

وَكُلُّ جُرْحٍ مَعَ الْأَيَّامِ مُلْتِمٌ لَكِنَّ جُرْحَ بِلَادِي غَيْرُ مُلْتِمٍ

مَا دَامَ فِيهَا يَهُودِيٌّ يُنْجَسُهَا فَسَوْفَ يَكْبُرُ فِيهَا الْجُرْحُ كَالْوَرَمِ

(المصدر السابق: ٨)

وأيضاً يحمل حقداً لليهود ويريد موتهم فلا يقبل بصلح معهم كما يقول في ديوانه «نبوءات الجائعين»:

نُجِبُ بِلَادَنَا وَنَمُوتُ فِيهَا

وَلَا نَرْضَى لَهَا صُلْحًا مُشِينًا

وَنَحْفَرُ لِلْيَهُودِ بِهَا قُبُورًا

وَنَحْمِلُ ضِدَّهُمْ حَقْدًا دَفِينًا

بِلَادِي لِلْيَهُودِ لَطَى جَحِيمِ (العتوم، ٢٠١٣)

فقلب الشاعر ينبض بحب بلاد العرب ولا يقبل بالصلح والهدنة، بل يطلب أن تُحفر لليهود قبوراً في هذه الأرض وهو الحاقد عليهم وعلى سياساتهم التوسعية وجاء خطاب الشاعر بلغة حماسية تزرع روح الأمل والتفاؤل في قلوب المناضلين، وتبث روح الخوف والخشية في قلوب المحتلين.

- الصلح مع إسرائيل

الصراع العربي-الإسرائيلي، تجاوز ستين عاماً متواصلة ومازال مستمراً إلى يومنا هذا. لقد سيطر المحتل على أرض فلسطين ومقدسات القدس، فعانى أهل هذه الديار المقدسة من الظلم والمهانة والتشرد، وتعرض إلى عدة مجازر دامية حتى أصبح محط أنظار وسائل الإعلام. وفي هذا الصدد تصدّى الكتاب لدراسة هذا الموضوع من جوانب مختلفة منها إستراتيجية وسياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية بما يخص هذا الأمر. وفاردم المسلمين في كل أنحاء العالم وندد بسياسات المحتل. وقد عالج الشعراء هذه الظاهرة في شعرهم وقد «بدأ اهتمام الشعر العربي في العصر الحديث بمدينة القدس منذ أن وطأت أقدام الغزاة الصهاينة أرض فلسطين، إذ أدرك الشعراء، بحسهم ما يهدد حاضنة الأديان السماوية من تهديد، وما يحاك حولها من مؤمرات من جانب الصهاينة وذلك بالتعاون مع الاستعمار البريطاني، وحذروا مما ينتظر المدينة من ظلم وبطش، وأظهروا تخوفهم من ضياع مقدساتها» (القواسمة، ٢٠١٠) وشأن القدس العربي أمر يهتم به كل العالم الإسلامي، وأغلبية شعراء العرب رسموا ملامح الثورة والمقاومة والرفض في قصائدهم وعبروا عن حبهم تجاه القدس والأقصى، وهذا هو الدافع القوي لدى شعراء العرب في إنشاد قصائد المقاومة. وقد زاد عدد الشعراء الذين تحدثوا عن القدس على ١٥٠ شاعراً وقد تعددت قصائدهم التي تناولت موتيف القدس (جمعة، ٢٠١٦م). وعلاوة على فلسطين، إن أراضي الأردن أيضاً كانت مهددة بإطماع الاحتلال، وإتفاقيات السلام مع المحتل كانت عبارة عن صفة لا أكثر لأن العدو الصهيوني لم يف بالعهود والاتفاقيات. فمن هذا المنطلق شاعرنا المرشح لهذه الدراسة تألم من الوضع السياسي المحاط ببلده ويرفض الصلح والسلام مع المحتل فيقول:

وَقُلْتُ ذَلِكَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي

وَلَا أَوْقَعُ مَعَ أَنْيَابِ ثُعْبَانٍ

الْأَرْضُ أَرْضِي وَالْقُوشَانُ قُوشَانِي

كَفَرْتُ بِالْصُلْحِ إِيْمَانًا وَمُعْتَقَدًا

أَفْدِي بِلَادِي وَلَا أَعْنُو لِمُغْتَصِبٍ

فَمَنْ هُمْ كَي يُنِخُوا الْيَوْمَ رَاحِلِي

(العتوم، ٢٠١٣)

فالشاعر بكل عزة وشموخ يرفع صوته محتجاً على الصلح مع المغتصبين فرفضه لهذا الصلح جاء من منطلق إيمان الشاعر ومعتقدده فلهذا السبب نراه يؤكد على كفره بالصلح في السر والعلانية، فبعد أن يفدي البلاد بنفسه يستنكر تواجد هؤلاء المحتلين على أرض الوطن فهذه الأرض أرض الشاعر وآباءه فكيف الآن يتفاوض مع المحتل الغاصب، وهل تجدي هذه المفاوضات مع المحتلين:

وَلَا يُجْدِي مَعَ الْمُحْتَلِّ سِلْمٌ إِذَا مَا جَاءَ تَصْفِيَّةُ الْحِسَابِ

وَلَكِنْ قُلْ لَهُ: لِلْسَّيْفِ إِنَّا خُلِقْنَا، وَالْمُسُومَةِ الْعِرَابِ

(العتوم، ٢٠١٣)

فهذا المحتل الغاصب لا يعرف لغة السلام والصلح والاتفاق فلهذا نرى الشاعر يؤكد على لغة أبلغ وهي لغة السيف التي ترمز إلى التأهب والاستعداد للتصدي وردع العدو الغاشم.

اتفاقيات السلام

أخطر حدث شهدته الشرق الأوسط بعد غزو المغول وحرب الصليبيين هي قضية «الصهاينة» وما أعقبها من أحداثٍ تمثّلت في غصب أراضي العرب والمسلمين، والحروب التي شنت عليها من قبل الصهاينة بدعم الاستعمار حيث أرغمتها بتقبّل اتفاقيات السلام ما بين الصهيونية والعرب بحجة السلام. والسلام «بمعنى وضع شروط معينة عند تحقيقها، يمكن القول إن هذا هو السلام، وعند عدم تحقيقها لا يكون السلام؛ كما ساد اعتقاد بأنّ التعايش هو المعنى بالسلام، وساد تصوّر ثالث يشير إلى أنّ السلام هو إنهاء أسباب الصراع بين الطرفين» (محمد أحمد، ١٩٨٠)، لكن الصهاينة لم يلتزموا بهذه العهود وكل فترة تنقض اتفاق من الاتفاقيات حتى أثارت غضب العرب والمسلمين حيال هذا الأمر، فعين الشاعر ناظرة لهذا الوضع المسيطر على المنطقة وكأحد من المواطنين الذين لا يؤمنون بالصلح رفض اتفاقيات السلام، فيقول:

نَاءَتْ بِوصْفِ عَظِيمِهَا الْأَرْزَاءِ

وَمَجَازِرٍ وَقَدَائِفُ شَعَوَاءِ

مَقْتُولَةٌ، وَبَيْمَةٌ نَكَلَاءِ

أَيْنَ السَّلَامُ؟ وَكُلُّ يَوْمٍ غَارَةٌ

أَيْنَ السَّلَامُ؟ وَكُلُّ يَوْمٍ جِبْهَةٌ

أَيْنَ السَّلَامُ؟ وَفِي الْحُرُوبِ نِسَاءُونَا

(العتوم، ٢٠١٣)

في هذه الأبيات نرى شدة رفض الشاعر للسلام بين الصهاينة والعرب بصرخته متسائلاً عن السلام، فهو يشاهد أنّ المجازر والحرب قائمة واتفاقيات السلام عبارة عن ورقة مسودة فيما بين الطرفين والناس تقتل والنساء تُكلى والأطفال تتيمم فهل هذا هو السلام؟ ويأتي أيضاً:

لَيْمَنِ الْبِلَادُ تَبِيعَهَا يَا (مُحْتَرَم)؟!

فَإِذَا سَأَلْنَاهُ يَلُطِفُ ظَاهِرٍ

سَيُجِيبُنَا: مَنْ قَالَ إِيَّيْ بِعْتُهَا

أَتُبَاعُ أَرْضُ أَهْلِهَا أَبْنَاءُ عَمِّ؟!

أَبْنَاءُ مَنْ؟ عَمُّ لِمَنْ؟ وَجُدُورُ مَنْ

كَأَنْتَ جُدُورُ أَبِيكَ مِنْ يَبْنِ اللَّمَمِ؟!

(العتوم، ٢٠١٣)

فهنا الشاعر يناشد الحكومة عن سبب الصلح، وهو يعدّ الصلح بيعاً لبلده، فيردُّ على نفسه من جانبهم بأنَّ هذا القرار حسب العمومة التي تربطهم، أي الصلة التاريخية والعرقية بين أبناء الأنبياء إسماعيل وإسحاق عليهما السلام فهم العرب واليهود. وهذه الادعاءات تُعتبر تخدير لعقلية الشعب وتبرير لقرارات القادة المتخاذلين أمام الاحتلال. فالشاعر أكد على رفض الصلح الذي يلحق بعض الأراضي الشامية لإسرائيل المحتل كما يرفض الصلة العرقية متعجباً مستغرباً بأسلوب استفهامي.

وأيضاً يرى أنَّ هذه الاتفاقيات تُقام لأجل نهب أرضه، وكلما عقدت جلسة لعقد السلام تعرض البلد في المزاد من جديد، ف «النهب» مفردة موحية عن الرفض في هذا البيت:

أوطأننا نهبُ صنَّاعِ السَّلامِ وكم

تُقامُ من أجلِهِ تلكَ المَزاداتُ

(العتوم، ٢٠١٣)

ومنها اتفاقيات السلام عن أراضي فلسطين كما يقول الشاعر «باعوها غدرة» فالمفردات في هذا السياق تؤكد على رفضه:

باعوا فِلَسْطِينِ الأَبِيَّةِ غُدْرَةَ وكَأَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا الأَصْلَاءُ

(المصدر السابق)

وأيضاً يقول:

قُلْ لِي بِرَبِّكَ مَنْ يَبْكِي عَلَى وَطَنِ يُبَاعُ جَهْرًا بِمَا يُدْعَى لِقَاءَاتُ؟!

قَالُوا (السَّلامُ) خَيَارٌ لَا بَدِيلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ سَوْفَ تَنْهَالُ الْكَرَامَاتُ

وَأَنَّا قَدْ مَلَلْنَا الْحَرْبَ مُضْرَمَةً وَأَنَّ أَنْ تَنْتَهِيَ تِلْكَ الْعَدَاوَاتُ

فَكِذْبَةُ الْحَرْبِ مَا زَالَتْ يُصَدِّقُهَا شَعْبٌ تُؤَثَّرُ فِيهِ (الْمَسْرَحِيَّاتُ)

سِلْمٌ لِمَنْ؟ وَمَنْ الْعَادِي؟ وَقَدْ وَصَحَتْ أَنَّ الْحُرُوبَ مَعَ الْأَعْدَاءِ (مَرَحَاتُ)

(المصدر السابق: ١١٤)

إنَّ رؤية الشاعر لقضية السلام والصلح مع المعتدي تعكس شدة رفضه لهذا الأمر الذي انهالت به الكرامات. وللتعبير عن مدى رفضه التام ألح الشاعر على أدوات الاستفهام بحالة مستغربة.

تَفَرِّقُ الْأُمَّةِ

العالم العربي تشكَّت بسلسلة من الصراعات الداخلية التي شغلته عن الترقِّي، فضلاً عن الاختراقات الخارجية التي شغلته عن الوحدة والوئام، فقد حاول الاستعمار أن يبتث الفرقة بين الشعوب العربية حتى يتمكن من الاستيلاء عليها ومن ثمَّ نهب ثرواتها و«يُعدُّ تمزيق الوطن العربي وتجزئته هدفاً استعمارياً قديماً. لعب التحالف الاستعماري البريطاني-الفرنسي دوراً كبيراً في تحقيقه، للحوُول دون إقامة دولة الوحدة العربية. وارتبطت مواقف الاستعمار والإمبريالية بمواقف الصهيونية... في

انتزاع فلسطين من الوطن العربي... لمتنع قيام دولة عربية... وتجزئة أمتي العربية والإسلامية في دول مجزأة» (نوفل، ٢٠١٠م: ١٦). وقد «وضعت إسرائيل بناء على الدراسات والندوات والمؤتمرات السرية والعلنية التي عقدتها، مخططات ومشاريع مختلفة للاستفادة من الأقليات في الوطن العربي، وأخذت تتحدث عن استراتيجية التفتيت والتجزئة للعالمين العربي والإسلامي إلى دويلات صغيرة، تقوم على طائفية وعرقية» (نفسه) كما فعلت في العراق، والسورية، ولبنان، والجزائر، والسودان ودول الخليج واستغلت ضعف بعض حكام العرب لنيل أهدافها. ولهذا تتجلى الصورة في الأبيات التالية، هذا العالم يقاد بقيادات وزعامات فاشلة لم تسع للشمول وقلما يوجد زعيم يحمل المسؤولية الوطنية الشريفة، فهذا ما يجعل الشاعر أن يبكي بكاءً كالدم الذي ينزف من قلبه، فيقول:

يَا أُمَّةَ الْعَرَبِ وَالْأَحْزَانُ جَارِحَةٌ وَصَوْتُ رُوحِي يَحْزُنُ الْقَلْبَ مِنْ غَمِّ
وَلَوْ بَكَيْتُ دَمًا عُمَرِي لَمَا سَكَنْتُ دُمُوعُ قَلْبِي مِنْ الْآلَامِ مُنْقَسِمِ
تَفَرَّقَ الشَّمْلُ بِالْأَهْوَاءِ، وَانْفَرَدَتْ بِنَا شَرَاذِمُ أَقْوَامٍ مِنَ اللَّمَمِ
يَمِضِي بِنَا الْعُمُرُ وَالرَّيَاثُ نَائِهَةٌ وَالْمَهْتَدُونَ بِهَا رَتْلُ مِنْ الرَّمَمِ

(المصدر السابق: ٧)

في هذه الأبيات يصرخ الشاعر أيمن العتوم رافضاً هذا التشتت والتفرق بين الأمة سياسياً لأنّ الأعداء وهم أقوام لمم تفرّدت بهم وأخذت تفرّق شمل الأمة، وقد بدأ الشاعر أبياته ببناء الأمة العربية ليستنهض الهمم ويثير انتباههم. وفي النص التالي يقول:

إِذَا اتَّفَقْنَا عَلَى حَبْلِ لِيَجْمَعَنَا
حَبْلٍ مِنَ الْبُغْضِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَسَدِ
مَتَى نَرَى فِي بِلَادِ الْعَرَبِ خَافِقًا

بِوَحْدَةٍ تَحْتَ ظِلِّ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ؟! (العتوم، ٢٠١٣)

في هذا المقبوس نرى الشعور بالإحباط يخيم على كلمات الشاعر الذي رأى الوضع العربي المترديّ الحاصل من التفرّق، فلا يأمل أن يتصل حبل المودة بينهم فيرفض بأسلوب الاستفهام وهو متحير ويتساءل متى تتوحد الأمة العربية تحت راية واحدة؟ ويرفض الشاعر هذا التفرّق ويسعى للشمول الأمة لكن نراه محبطاً في خطابه لترديّ الوضع الراهن.

ترك الجهاد

لقد شرع الاسلام سنة الجهاد من أجل كرامة البلاد وعزّتها، و«ما من شعب حافظ على وجوده، وأمنه واستقراره بالعبّرات والبكاء، والتبعية والرضا بالذل والهوان واستصراخ ضمائر الغزاة والمستعمرين فالشر لا يدفع بالسلام وإنها يدفع بالقوة... ما يعني بأن المقاومة بكل أشكالها إنها هي تحرير الذات من القهر والعبودية والذل في السلم والحرب» (جمعة، ٢٠١٦م: ٣٥) فكلما تعرّضت البلاد لبطش العدو يستوجب على أبناء الشعب أن يتصدّوا للعدو بروح نضالية وبوحدة وطنية. فيجب على المسلمين على مدى التاريخ أن يحافظوا على انتهاج هذه السنة الاسلامية الشريفة. وفي ظل هذه الظروف الحرجة يرى أيمن العتوم أنّ الحل الوحيد للتخلص من هذا العدو المحتل للبلاد هو الجهاد ومجاوبته. في هذا السياق الشاعر يستدعي الشخصيات التراثية الإسلامية التي كانت رمزاً للوحدة والعزة والجهاد رافضاً للوضع السائد على الأمة العربية المتشتتة، فيقول:

وَلِلَّهِ مَا جَرُّوتُ بِالْبَغْيِ عُصْبَتُهُمْ إِلَّا لَأَنَّا ضَلَلْنَا فِي دَيَاجِلِهَا
لَوْ كَانَ فِي الْعَرَبِ وَالْإِسْلَامِ (مُعْتَصِمٌ) أَوْ (الرَّشِيدُ) لَكَانَ السَّيْفُ مُخْزِيَهَا

يعتقد الشاعر أنّ الظلم الذي حلّ بالأمة العربية يعود إلى ضلالهم وتشبّثهم وضعف قياداتهم فلو كان بينهم قادة كالمعتصم والرشيد لما تجرّأ العدو أن يصول ويجول في البلاد. ومن هنا ينتقل إلى رفض ترك الجهاد. وفي هذه الأبيات يقول:

نَامَتْ بِأَغْمَادِهَا هَذِي السُّيُوفُ فَمَنْ سَيَنْتَظِي لِعَدُوِّ اللَّهِ مَاضِيَهَا
مَا ذَلَّ قَوْمٌ عَلَوْا صَهَوَاتِ خَيْلِهِمْ فَالْخَيْلُ بِالْخَيْرِ مَعْقُودٌ نَوَاصِيَهَا

(المصدر السابق)

ويكنى بالسيف التي نامت بأغمارها عن بعدهم عن الجهاد والتحلي بالشجاعة والبسالة. وفي هذين البيتين يشير إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو «الخيّل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وهي كناية عن الاستعداد للحرب. وفيما يلي أيضاً يقول:

كُلُّ الْخَيُْولِ بِأُوطَانِي بِلا سُرْجٍ وَلَا فَوَاسٍ تَعْلُوهَا وَلَا لُجْمٍ
وَالْخَيْرُ بَيْنَ نَوَاصِي الْخَيْلِ مُنْعَقِدٌ إِنْ قِيلَ: يَا خَيْلُ هَذِي السَّاحُ فَاقْتَحِي

(المصدر السابق: ١١)

وهنا يتناص الشاعر أيضاً مع الحديث النبوي الشريف المشار إليه سابقاً كما يشير إلى قوله تعالى ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ (الأنفال/ ٦٠). فيبدو أنّ الشاعر استلهم هذه الأفكار الجهادية من صميم التعاليم الإسلامية التي تطالب بكرامة الشعب وعزّته.

الأوضاع السياسية الداخلية

قانونُ الصَّوتِ الواحدِ

نظام «الصوت الواحد» جاء تمهيداً لإقرار اتفاقية السلام الأردنية-الإسرائيلية (وادي عربة) التي أقرها البرلمان في عام ١٩٩٤م. وهو «الذي قسّم المملكة إلى ٤٥ دائرة انتخابية، واعتماده مبدأ الصوت الواحد بغضّ النظر عن عدد المقاعد المخصصة للدائرة الانتخابية، الأمر الذي وضع الناخب أمام خيار واحد فإما أن يكون عشائرياً أو حزبياً، وكان الاختيار في النهاية للعشيرة، ومن ناحية أخرى فإنّ الصوت الواحد لا يساعد على تشكيل الائتلافات الحزبية ممّا يساعد على إفشال وإضعاف فرص الأحزاب في الحصول على مقاعد برلمانية» (سلامة، ٢٠١٥). فواجه هذا القانون البرلماني كثير من المشاكل حيث إنّه لم يستطع أن يمثل الديمقراطية، ففي عام ٢٠١٦م الغي «الصوت الواحد» في الانتخابات وهو من السياسات التي كانت على خلاف عند المواطنين. وأيمن العتوم خصّص لهذه القضية قصيدة بهذا العنوان «قانون الصوت الواحد» وأعلن رفضه عن الآراء التي تطلق من النواب فيقول:

أُمَمٌ تَتَحَمَّمُ فِي بَحْرِ الدَّلِّ وَمَا اخْتَلَفَ الظَّرْفُ

الآنَ تَقُولُ لَكَ الْأُلُويَةُ الْحَمْرَاءُ: لَقَدْ حَانَ الرَّحْفُ

وَتَقُولُ لَكَ الْأُلُويَةُ الْبَيْضَاءُ: احْفَظْ جَبْهَتَكَ وَزَاوِغَ (العتوم، ٢٠١٣)

هنا يشير إلى تفرد الأحزاب المتشثّثة التي تتضارب آراؤها مع بعض، ولا يهتمهم أمر الأمم التي تتحمّم في بحر الذلة، فيرفض هذه الذلة المستمرة تحت القانون. وينشد مستطرداً:

يَا مَجْلِسَ أَمْنَاءِ الثَّوَرَةِ...

ما جئنا كي نلعب (شدة)
 جئنا لنصوت في صف الديموقراطية
 مع قانون الصوت الواحد أو ضده
 نصوت في مصلحة الطهر وضد الغهر
 أو الكبت الفكري
 وتبيع قضايا الأمة والتاريخ بسعر كاسد
 من يرفع يده سيكون الشاهد
 ها أرفع كفي... سأكون الشاهد
 أشهد أربع شهادات بالله يا أي أصدق
 والخامسة علي اللعنة إن أكذب
 أشهد أن المصلحة بأن أرفض أن أدخل في المجلس
 مهما كان الوضع السائد
 أشهد أن النواب يظنون الشعب زعاعاً (المصدر السابق)

بهذه النص يطلب العتوم من النواب أن يهتموا بمهام الأمور بلغة ساخرة ملتهبة لما يراه من تشتت وتضارب في الآراء وعدم الاكتراث بالشعب وبمصالحة، ونراه يرفض المجلس ومواقفه لأن النواب يستخفون بالناس، وهكذا يستمر:

إنّا كل عن هذا المجلس قاعد
 لم ينقض الموقف بعد....
 يا نوابي ... سيروا في عيكم الراشد
 لن يعني قانون الصوت الواحد شيئاً
 أنتم أدرى مي:
 الدولة واحد....
 والكروبي واحد....
 والمجلس واحد....
 والمؤمس واحد.... (المصدر السابق)

ففي هذا المقبوس ينشد أيمن العتوم رافضاً بأن المجلس بهذا القانون أي قانون الصوت الواحد ليس له قيمة لأن المجلس والدولة والكروبي كلهم واحد فالصوت لابد أن يكون واحداً إما قبول أو رفض، فلا مبرر لهذا التشتت إن كانت النوايا حسنة والأهداف سامية.

مجلس الأمة

يوظف أيمن العتوم السخرية للتعبير عن غرضه الشعري، فمن الأمور السياسية التي يرصدها بمجهره ويسخر منها رافضاً إياها هي مجلس الأمة، فنرى في قصيدة «مجلس الأمة»، يستخدم عنواناً ساخراً موحياً ويرفد مقاطعها بروح السخرية. وهو في هذا الصدد يريد الاصلاح والخير عبر لغة ساخرة موحية ليكون تعبيره نافذاً فيقول:

ألم تر كيف أعطى ربك النواب فصل القول والحكمة

وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى أبنائنا رَحْمَةً
فَجَاوَزْنَا بِهِم بَحْرَ الرَّدَى وَالْبُؤْسِ وَالظُّلْمَةِ
فَمَا قُلِعَتْ أَظْفَارُنَا ...
وَلَا امْتُهِنَتْ كِرَامَتُنَا ...
وَلَا انْتَهَكَتْ لَنَا حُرْمَةٌ
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَى وَسَلَّمَهُمْ مِنَ التُّهْمَةِ (المصدر السابق)

في هذه القصيدة يتضح لنا أنَّ الشاعر يقصد العكس ممَّا يقوله ويرسم صورة فكاھية ساخرة عن الواقع المؤلم بأسلوب ممتلئ بالكنایات، وما يقصده من الرحمة هي النعمة وهكذا الأمر بالنسبة للتعبير الأخرى فيرى الشاعر أنَّ الشعب لم يتجاوز الردى والبؤس والظلمة في ظل سياسات النواب وممارساتهم، بل تعرّض الشعب للمهانة والاحتقار وانتهاك الحرمة، وقد ختم الشاعر هذا المقطع بهذا التعبير الموحى «فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَى وَسَلَّمَهُمْ مِنَ التُّهْمَةِ» فهذه كناية عن وضوح أمرهم واكتشافها لدى الشعب ولكنهم دائماً يتخلصون من التهمة بل لا يكتثون بها.

عمال الحكومة

ديوان «نبوءات الجائعين» يُعتبر شكوى عن السياسة وما يجري في المجتمع العربي، فمنه قصيدة «المُتماسك» التي تشبه الرسوم الكاركاتورية وتحكي حكاية المواطن الذي يدفع كلَّ الضرائب حتى ضريبة نهيق الحمار ولا يشتكي عن أوضاع السياسة الداخلية وعمّا يرتكبه عمال الحكومة. فهناك «...انتشار الفساد، والاعتداء على المال العام، ... وكثرة الرشوة وغياب العدالة والمساواة في كثيرٍ من القرارات الرسمية» (محافظة، ٢٠٠٠). يقول الشاعر في هذه القصيدة:

وَمَا قَالَ يَوْمًا لِأَيِّ وَزِيرٍ بِشَكْلِ حَضَارِي:

لِمَاذَا حَسَابُكَ فِي الْبَنْكِ (جاري)

وَمِثْلِي وَرَاءَ اللَّقِيْمَةِ (جاري)

وَجُوعِي جَارِي؟!!

لِمَاذَا تُبْعِثُ أَمْوَالَ شَعْبِي

بِصَالَاتٍ لِعِبِّ الْقِمَارِ؟!!

لِمَاذَا تَكُونُ أُسَاسَ الْقَسَادِ

وَتُعْلِنُ حَرْبًا عَلَى أَجْرَاءِ الْقَسَادِ الْإِدَارِي؟!!

وَأَسْأَلُ فِي عَجَبٍ

كَيْفَ يَحْيَا الْمَوَاطِنُ فِي كُلِّ هَذَا التَّنَاقُصِ صَلْبًا

وَلَمَّا يُضَبِّ (العتوم، ٢٠١٣)

وأيضاً في قصيدة «النائبة» يشير إلى الوضع المهيمن على البلاد بصورة رافضة لم تخلُ من الكنايات. فهكذا يقول:

يَحْكُمُ الْأَمْنُ الْخُرَافِي

وَأَرْبَابُ الْمَلَاهِي

وَالْكَلاِبُ السَّائِبَةُ

كُلُّهَا تَعْتَبِرُ الشَّعْبَ أَجِيرًا وَمُدَانًا

فَهِيَ لَا تَتْرُكُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْلِبَ حَتَّى حَالَبَهُ

وَهِيَ لَا تَغْفِرُ حَتَّى لِلْجُمُوعِ النَّائِبَةِ

أَعْطِنَا يَا رَبُّ حُبْرًا وَخَلِيبًا

وَاحِمِنَا مِنْ (شَبَحٍ) يَمْشِي وَدُورٍ شَاحِبَةٍ

نَحْنُ لَا نَطْلُبُ شَيْئًا غَيْرَ هَذَا

بِرِّلْمَانَاتِ تُمَيِّ بِوُغُودٍ كَاذِبَةٍ

تَحْتَهَا تِسْعُ وَسَبْعُونَ امْرَأَةً

وَمِنْ الذُّكُرَانِ لَا يُوجَدُ إِلَّا (نَائِبَةٌ) (المصدر السابق: ٥٥)

يتمثل رفض العتوم في هذا النص لجانب من جوانب السياسة الداخلية وهي الدولة الحاكمة منها الأمن والنواب الذين يمثلون الشعب في مجالس الشعوب لكنهم ليسوا بمصلحة الشعب و«النائبة» كناية عن دورهم السليبي الذي يلعبون في زيادة مصائب المواطنين.

بطش الأمن الحكومي

إن حرص الحكومات على السيطرة على المجتمع تدفعها إلى أخذ بعض القرارات الخاطئة حيال الشعب لاسيما المثقفون الذين ينتقدون الأوضاع السائدة لهدف إصلاح هذه الأمور ولكنهم يبقون تحت مراقبة الأمن وتُتحدّد مواقفهم بسيطرة الأمن حيث لا يبقى لهم إلا الصمت أو السجن، ومنهم الشعراء، فالشاعر أيمن العتوم خالف هذا الأمر حيث يقول:

مِمَّنْ أَخَافُ؟ جِهَارُ الْأَمْنِ يَرْقُبُنِي

وَشَارَكْتُهُ بِثَقْلِ الْهَمْسِ حِيطَانِي

كَلَابُهُمْ مِثْلَ ظِلِّي لَا تُقَارِفُنِي

تَقِيسُ لِي حَجَمَ أَنْفَاسِي بِمِيزَانٍ (المصدر السابق)

العتوم ينشد هذه القصيدة وهو في سجن سواقة رافضاً مراقبة الأمن وبتطشهم، فهو يستخدم هذه التعابير «وَشَارَكْتُهُ بِثَقْلِ الْهَمْسِ حِيطَانِي» و«كَلَابُهُمْ مِثْلَ ظِلِّي لَا تُقَارِفُنِي» و«تَقِيسُ لِي حَجَمَ أَنْفَاسِي بِمِيزَانٍ» للدلالة على شدة المراقبة والسيطرة والدقة عند التجسس من قبل الأمن الحكومي على حساب كبت الأصوات وحرمان الشعب من حق التعبير عن الرأي.

٢. النتائج

١. يظهر الرفض في أعمال المثقفين حسب الدوافع والأهداف التي تدفعهم إلى أخذ موقف حيال أمرٍ مهم يعني الإصلاح أو الوعي، ومنها الأمور السياسية. والأمور السياسية في منطقة الشام من أبرز الثيمات في الشعر الحديث حتى لا يوجد شاعر في الشام إلا وتغنى في شعره بمضامين المقاومة أو فضح سياسات المحتلين. والشاعر أيمن العتوم ركز بكثافة على ظاهرة الرفض السياسي في دواوينه ومنها «خذني إلى المسجد الأقصى» و«نبؤات الجائعين». وتتجلى ظاهرة الرفض السياسي عند العتوم في محورين رئيسيين هما رفض السياسة الخارجية ورفض السياسة الداخلية.

٢. عاصر أيمن العتوم مرحلة خطيرة وحساسة في تاريخ المنطقة، وهي قضية الاحتلال الصهيوني الذي بدأت من القرن العشرين. وهذه القضية لها دور حاسم على الأردن لقربه الإقليمي وتأثره بالقرارات التي تصدر عن فلسطين، والحدود الأردنية مع فلسطين والاحتلال كما أنّ الاتفاقيات تعني الأردن بشكل مباشر مع تدخل الدول الداعمة للاحتلال التي غرست بذر الخلاف بين الأمم العربية والمسلمة كي تشتت شملهم وتسوقهم جبراً على قبول الصلح واتفاقيات السلام فيما بين الاحتلال والمنطقة الشامية. ولهذا خصّص العتوم، ديوان «خذني إلى المسجد الأقصى» بالقضايا السياسية فيرفض فيه قضية الصهاينة وهيمنة اليهود واتفاقيات السلام مع المحتل وسيطرة الدول الكبرى منها امريكا لسيطرتها ودعمها الاحتلال؛ وأيضاً في ديوانه «نبؤات الجائعين» يؤكد على رفضه للاحتلال والسلام مع المحتل فمن الظواهر السياسية التي غني بها الشاعر سطوة امريكا، وهيمنة اليهود، والصلح مع الصهاينة، واتفاقيات السلام وتفريق الأمة العربية، وترك الجهاد.

٣. السياسة الداخلية تلعب دوراً مباشراً في حياة الناس وهي تتمثل في الدولة الحاكمة والنواب وعمال الحكومة فلهذا يقوم الشاعر أيمن العتوم برفض سياستها الخاطئة لهدف إصلاح الأمور التي لم تستقم إلا بنقد المثقفين الذي يجهرون بصوتهم فيطالبون بحقوق الشعب ومتطلبات الأمة، وقد خصص العتوم رفضه لرجال السياسة، والمجلس، النواب، وأعمالهم وقراراتهم الفاشلة، وبالرغم من اعتقاله ومطاردته فلم يتخلّ من رسالته النضالية وفي شعره لا يخلو رفضه السياسي من السخرية والكنائيات وهو في سجن سواقة.

بيان تضارب المصالح

يقر جميع المؤلفين أنه ليس لديهم أي تضارب في المصالح.

المراجع

القرآن الكريم.

- أحمد جاد المولي بك، محمد وزملاؤه. (١٩٤٢) *أيام العرب في الجاهلية* (ط٢). عيسى البابي الحلبي، مصر.
- البهي، محمد. (١٣٨٠هـ). الاستعمار في الشرق الأوسط. *مجلة الأزهر*، ٣٢، ١٤١-١٤٦.
- جمعة، حسين. (٢٠١٦). تجليات القدس في الشعر العربي المقاوم. *مجلة الموقف الأدبي*، (٥٥٤)، ١٧-٣٨.
- سلامة حمود المساعيد، يوسف. (٢٠١٥). الآثار السياسية للنظام الانتخابي في الأردن. *مجلة المستقبل العربي*، (٤٣٣)، ٨٠-٩٦.
- ضيف، شوقي. (٢٠٠٤). *مكتبة الدراسات الأدبية في النقد الأدبي* (ط٧). القاهرة: دار المعارف.
- العتوم، أيمن. (٢٠١٢). *نبؤات الجائعين*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- فهاد العكبير، هاني. (٢٠١٢-٢٠١٣). الفكر الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام ١٩٩١-٢٠١٣. جامعة الشرق الأوسط.
- قصاب، وليد إبراهيم. (٢٠٠٩). *مناهج النقد الأدبي الحديث*. دمشق: دار الفكر، الطبعة الثانية.
- القواسمة، محمد عبد الله. (٢٠١٠). رثاء القدس في الشعر العربي. *مجلة أفكار*، (٢٥٤)، ٩٨-١٠١.
- م. (٢٠١٣م). *خذني إلى المسجد الأقصى* (ط٢). دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة.
- م. (٢٠١٣م). *قلبي عليك حبيبي* (ط١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- محافظة، علي. (٢٠٠٠). الأردن.. إلى أين؟ *مجلة المستقبل العربي*، (٢٥٦)، ٢٢-٣٤.
- محمد أحمد، عبد العاطي. (١٩٨٠). التصور الفلسطيني والإسرائيلي للسلام. *مجلة السياسة الدولية*، (٦٦)، ١٣٩-١٤٣.
- محمد ذنون علي العكيد، سالم. (٢٠١٣م). *جماليات الرفض في الشعر العربي: مقارنة تأويلية في شعر أبي تمام* (ط١). عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- المصري، شوكت نبيل. (٢٠٠٥). شعرية الرفض في النثر بين رصد الواقع وتحطيم المثال: قراءة في نصوص ماتبقى من جنّي لصبحي موسى. *مجلة فصول*، (٦٧)، ٢٨٤-٢٩٤.
- نوفل، أحمد سعيد. (٢٠١٠). *دور إسرائيل في تفنيت الوطن العربي* (ط٢). بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.